أثر سياق الحال في التحليل النحوي عند أبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)

سعيد سلمان جبر
الجامعة المستنصرية /كلية الآداب

اللغة ظاهرة اجتماعية ووسيلة من وسائل الاتصال بين أبناء المجتمع تخضع لأحوال وظروف متكلميها؛ لذا لا يمكن إغفال العلاقة التي تربط بين الكلام وما يحيط به من ظروف خارجية تصاحب الحدث الكلامي وهو ما أطلق عليها سياق الحال، أي : كل ما يحيط باللفظة من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب، في أثناء التفوه، فتعطيها هذه الظروف دلالتها التي يولدها هذا النوع من السياق (١) .

إذن فسياق الحال يمثل خَصِّيَّة أو ميزة تعد من أهم خصائص اللغة، وهو أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، وعليه فإنه يمثل المعنى الاجتماعي للغة (٢) . وقد تنبّه علماء العربية القدامى إلى أهمية سياق الحال في الدرس النحوي، فكان سيبويه كثيراً ما يلجأ إلى تعليل الظواهر النحوية والأحكام الإعرابية على وفق غرض المتكلم وقصده على فهم المخاطب وفائدته، والظروف المحيطة بالقول (٣) . كذلك فإنّ النحّاس قد اعتمد على سياق الحال في تحليل كثير من النصوص اللغوية ويتجلى اهتمام النحّاس في مجالات سياق الحال ، ما سنعرضه من هذه المجالات :

١. **المتكلم** :

إنّ سياق الحال هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم، وعلاقته بالسلوك اللغوي، وأثره الواضح في النص الكلامي الذي يصدر عنه (٤) . وهو ما تنبّه إليه علماء العربية وبينوا أنّه لكي يكون الكلام مفيداً ويلقى قبول واستحسان المخاطبين أو المتلقين فعليه أن يوازن بين معاني كلامه ومستوى المخاطبين مستشعراً القول العربي لكل مقام مقال) أي : ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار

(١) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية (بحث) ١٦٠-١٦١.
(٢) ينظر : فصول في علم الدلالة ١١٩.
(٣) ينظر : سياق الحال عند سيبويه ١٤.
(٤) ينظر : نظرية النحو العربي ٨٥، والبلاغة والاتصال ٣٥ ، ٤١.

الحا ت فيجعل لكل طريقة طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالا) [٥].

وكان المتكلم مدار اهتمام النحويين العرب، فقد اعتمدوا على مبدأ مراعاة غرض المتكلم في كلامه بوصفه قرينة قوية في الدراسات اللغوية فهم يوظفونه في فهم الجمل والتراكيب اللغوية ولاسيما آيات القرآن الكريم والشعر العربي وقد اشترطوا معرفة غرض المتكلم وقصده في تحديد بعض الوظائف النحوي [٦].

قال سيبويه : وأما قولهم : مَنْ ذا خيرٌ منك، فهو على قوله : مَنْ الذي هو خيرٌ منك لأنك لم ترد أنْ تشير أو تومئ إلى إنسان قد استبان لك فضله على المسؤول فيُعْلِمَكَه، ولكنك أردت : مَنْ ذا الذي هو أفضلُ منك، فإنْ أومأت إلى إنسان قد استبان لك فضله عليه، فأردت أنْ يعلمكه نصبت خيراً منك، كما قلت : مَنْ ذا ائماً، كأنك قلت : إنّما أريد أن أسألك عن هذا الذي قد صار في حالٍ قد فضلّك به) [٧].

فالرفع والنصب موقوفان على قصد المتكلم وما يريد إيصاله إلى المخاطب وهذا ما نتلمسه أيضاً عند النحّاس في تحليله لقوله تعالى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ البقر ٢١٩ . ففي قوله تعالى : قُلْ العفو) قراءتان : فقد قرأ أهل الحرمين وأهل الكوفة بالنصب، وقرأ أبو عمر وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق بالرفع [٨]. واختيار الرفع والنصب متوقف على قصد القارئ فإن جعل ذ) بمعنى الذي) كان الاختيار الرفع، ويجوز النصب [٩]. لأنّ م) في موضع رفع بالابتداء فجوابها مرفوع بالابتداء مثلهـ [١٠]. كأنه قال : ما الذي ينفقون، فقال : العفوُ ويجوز أن تنصب العفو) وإنْ كان ما) وحدها اسماً فتحمل العفو) على ينفقون كأنه قيل : أنفقوا العفو) [١١].

(٥) البيان والتبيين ١٠٦/١.
(٦) التداولية عند العلماء العرب ٢٠١.
(٧) الكتاب ٦١/٢.
(٨) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٣٠٩/١، ومعاني القراءات ٧٥.
(٩) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣٠٩/١.
(١٠) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٩٥/١-٩٦.
(١١) معاني القرآن وإعرابه ٢٥١/١.

وإنْ جعل (ما) و (ذ) شيئاً واحداً كان الاختيار النصب وجاز الرفع [٢]، لأنّهما في موضع نصب بـ (ينفقون) ، وقد نُصِب (العفو) لأنّه جواب (ما) فوجب أنْ يكون إعرابه كإعرابها [٣].

وجواز الرفع على أنْ يكون (العفو) خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره : قل هو العفو [٤].

وقد تحتمل الكلمة الواحدة في الجملة أكثر من وجه إعرابي فتختلف وظائفها في الجملة تبعاً لاختلاف الأوجه الإعرابية [٥]، وفي ذلك نجد النحّاس يبيّن معنى كل وجه معتمداً على قصد المتكلم وإرادته، فمن ذلك قول الشاعر :

فأصْبَحَتْ بِقَرْقَرَى كَوانِسا فلا تَلُمْهُ أنْ يَنامَ البائِسا [٦]

فبيّن النحّاس أنّ إعراب (البائس) مرهون بإرادة وقصد المتكلم كأنّه قال : فلا تلمه أن ينام، ثم قال بَعْدُ، أعني ، وأرحم البائسا، وهذا كقولك : مررت به المسكينُ بالرفع والنصب والجر في المسكين . فمن رفع فعلى معنى : المسكينُ مررتُ به، ومَنْ نصبه فعلى معنى : أعني المسكين، ومَنْ جر فعلى معنى : البدل من الهاء في به، نحو : مررتُ به المسكين [٧].

فقد تنبّه النحّاس إلى طريقة الأداء اللغوي المصاحبه للتركيب التي كان لها الأثر في بيان دلالة لفظة (البائس) وهو الوقف، لأنه حينما قال : فلا تلمه أن ينام ثم قال : بَعْدُ : أعنى أو أرحم البائس . فأصبح هناك تراخ في الزمن بين لفظة البائسا وما قبلها فكأن الشاعر اقتطع هذه اللفظة عمّا قبلها لغرض دلالي وهو الترحم، ولخصوصيتها في الاستعمال والترحم يكون بالمسكين والبائس ونحوه ولا يكون بكل صفة ولا كل اسم، ولكن تَرَحّمْ بما تَرَحَّمَ به العرب [٨].

وعلى هذا فإنّ تعدد الأوجه الإعرابية لا تخرج اللفظة عن معنى الترحم . فنصب البائس، بإضمار فعل على معنى الترحم [٩]. والجر على البدل وفيه معنى الترحم، وكذلك الرفع ويكون

(١٢) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣٠٩/١.
(١٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٩٦/١.
(١٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥١/١.
(١٥) سياق الحال في كتاب سيبويه ٩٣.
(١٦) البيت غير معروف القائل، ينظر : الكتاب ٧٥/٢، وشرح أبيات سيبويه، النحاس ١٥٧، وتحصيل عين الذهب ٣٦٥، والنكت في تفسير كتاب سيبويه ٤٨٠/١.
(١٧) شرح أبيات سيبويه، النحّاس ١٥٧.
(١٨) الكتاب ٧٤/٢-٧٥.
(١٩) النكت في تفسير كتاب سيبويه ٤٨/١، وتحصيل عين الذهب ٢٦٥.

على وجهين عند الخليل . الأول : كأنّه لما قال مررتُ به، قال : البائسُ أنتَ . والثاني : وإنْ شاء قال : مررتُ به والبائسُ أنتَ [٢٠] . وقد تصحب المتكلم الشاعر) انفعالات ومشاعر أثناء نظمه لشعر فيؤثر ذلك على التركيب اللّغوي لشعره، نحو قول النابغة الذبياني

إذا تَغَنَّى الحَمامُ الوُرْقُ هَيّجَنِي ولَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْها أمَّ عَمّار [٢١]

فنصب أمَّ عمّار) على المعنى، كأنّه قال : وذكرني الحمامُ أمَّ عمّار لأنّ قوله : هيجني، هو تذكيره إيا ، لأنّه إذا هيّجه فقد ذكّر [٢٢] . وكان الخليل قد ذهب إلى هذا المعنى [٢٣] .

أما الأعلم الشنتمري فيرى أن نصب أم عمّار على فعل مضمر دلّ عليه ما قبله، وهو هيجني، فكأنّه قال : هيجني فذكرني أم عمار [٢٤] ويفهم من هذا أنّ الشاعر حينما سمع صوت الحمام وهو يغني جاشت مشاعِره وأحاسيسه، فهيّجته، وهذا الهيجان عبارة عن تَذكّر، ولا شكَّ أن التذكّر يكون في الماضي، ولا بد أن يقع على شيء فوقع على أمّ عمّار وهذا يرجّح أنّ معنى : هَيّجنِي ، هو معنى : ذكرنِي). فنصب أمِّ عمّار وقد يعمد المتكلم إلى استعمال الأساليب المجازية بغية الت ثير في المخاطب واستمالته نحو قول الشاعر :

أمّا النَّهارُ ففي قيْدٍ وسِلْسِلَةٍ والليلُ في جَوْفِ مَنْحوتٍ من الساجِ [٢٥]

قال النحّاس : إنّما كان حقّه أن يقول : أما النهارَ وأمّا الليلَ، لأنّه يريدُ في الليل والنهار ولكنّه رفع على المجاز كأنّه جعل النهار والليل فاعلين ومنحوت من الساج، يعني : المقطر . يقول : أنا بالليل في مقطرة وبالنهار في قيدٍ وسلسلةٍ، لأنّه كان محبوس [٢٦] .

خرج المتكلم الشاعر) عن الأصل في استعمال النهار واللّيل وهما ظرفان إلى استعمالهما اسمين اتساعاً فيهما وتشخيصاً للنهار واللّيل . الأول في قيد وسلسلة، والثاني في جوف منحوتٍ من الساج، وإنّما دعاه إلى هذا التأثير في المخاطب واستمالته، فضلاً عن دلالة الدوام والاستمرار على هذا الحال، لأن النهار والليل دائبان في حركة مستمر .

(٢٠) ينظر : الكتاب ٧٥/٢.
(٢١) ديوانه ٢٣٥وفيه :(ذكَّرَني)، والنكت في تفسير كتاب سيبويه ٣٥١/١ وفيه :(ولو تَغَرَّبْتُ)، والكتاب ٢٨٦/١، وشرح أبيات سيبويه، النحّاس ١١٨..
(٢٢) شرح أبيات سيبويه، النحّاس ١١٨.
(٢٣) ينظر : الكتاب ٢٨٦/١.
(٢٤) ينظر : النكت في تفسير كتاب سيبويه ٣٥١/١، وتحصيل عين الذهب ١٨٩.
(٢٥) الشاهد للجرنفش بن زيد عبدة الطائي، الكتاب١٦١/١، وشرح أبيات سيبويه،النحاس٩٦، وتحصيل عين الذهب ١٢٦، والنكت في تفسير كتاب سيبويه ٢٨٠/١.
(٢٦) شرح أبيات سيبويه، النحّاس ٩٦، وتحصيل عين الذهب ١٢٦.

وقد ذكر السيرافي أنّ الشاهد في هذا البيت أنّه جعل النهار في قيد وسلسلة وهو يريد أنه مقيدٌ في النهار ومسلسلُ، وهو في الليل في جوف تابوت معمول من الساج، وكان الشاعر أسرته من الديلم، فبعث إلى قومه بهذه الأبيات أراد أنه قد حان لكم أن تسعوا في أمري حتى تخلصوني مما أنا فيه [٢٧]. وقد يدفع التوهم المتكلم إلى حمل الأحكام النحوية على معنى ما توهمه نحو قول الشاعر :

مَشَائِيمُ لَيْسُوُا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَاناعِبٍ إلّا ببَيْنٍ غُرابُهِ [٢٨]

هذا البيت كما قال النحّاس : حجة أنّه توهم في مصلحين الباء ثم عطف عليه بناعب . كأنه قال : ليسو بمصلحين ولا بناعبٍ [٢٩]. ويبدو أنّ الشاعر أراد بعطفه لا ناعبٍ) على مصلحين) أنْ يؤكد للمخاطب ما تقدم من كلامه، لأن وجود حرف الجر الباء) في خبر ليس) يفيد الكلام تقوية وتوكيد .

ب – المخاطب :

لقد لقي المخاطب عناية فائقة من لدن دارسي اللغة لكونه واحداً من أطراف العملية اللغوية، ووصول الأفكار الملقاة إليه بجلاء ووضوح هي الغاية المنشودة التي يسعى المتكلم لتحقيقها [٣٠]. وسوف نتناول عدداً من المسائل النحوية التي تظهر اهتمام النحّاس بهذا الجانب منها :

١. تعريف الخبر وتنكيره:

قد يأتي المبتدأ والخبر معرفتين نحو قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يونس ٠ ١١ .

فذهب النحّاس إلى أنّ السحر) مرفوع على إضمار مبتدأ والتقدير : هو السحرُ . ونقل عن هارون القارئ أنّ عبد الله قرأ ما جئتم به سحر) وهذا أيضاً على الابتداء والخبر . ولكن دخول الألف واللّام في هذا أكثر في كلام العرب لأنّه جواب لكلام سابق، فقولهم لما جاء به

(٢٧) ينظر : شرح أبيات سيبويه، ابن السيرافي ١٦١/١-١٦٢.
(٢٨) نسب البيت للأخوص الرياحي، الكتاب ٣٠٦/١، وشرح أبيات سيبويه، النحّاس ١٠١ ، ٢١٣، وشرح أبيات سيبويه، ابن السيرافي ٥٥/١ (بشؤم)، وتحصيل عين الذهب ١٩٨.
(٢٩) شرح أبيات سيبويه ، النحّاس ٢١٣.
(٣٠) ينظر : مراعاة المخاطب في النحو العربي ١٥.

موسى عليه السلام أهذا سحر ؟ فقال لهم : بل ما جئتم به السحر . أي أنّ كل لفظ نكرة ذكره المتكلم فيعيده المخاطب بلفظه يقترن به الألف واللّام . أي : لو قال قائل لك : وجدت درهماً، ثم سألته لكان الاختيار أنْ تقول : فأين الدرهمُ، ولا تقول أين درهـ . لأنّ ذلك يوهم أنك سألته عن غيره [٣١].

وعلى هذا لا بد من وجود فرق دلالي دقيق بين أنْ يكون الخبر معرفة أو نكرة، وذلك بناء على أحوال المخاطب . فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني ذلك بقوله : ومن فروق الإثبات أنّك تقول : زيدٌ منطلقٌ ، وزيدٌ المنطلقُ والمنطلقُ زيدٌ، فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي ... وأعلم أنكّ إذا قلت : زيدٌ منطلق . كان كلامك مع مَنْ لم يعلم أنّ انطلاقاً كان لا من زيد ولا من عمرو فأنت تفيده ذلك ابتداء، وإذا قلت : زيدٌ المنطلقُ كان كلامك مع مَنْ عرف أنّ انطلاقاً كان إمّا من زيد وإمّا من عمرو، فأنت تعلمه أنّه كان من زيد دون غير [٣٢].

إذن فقولنا : زيدٌ منطلق ، كان المعنى : إثبات الانطلاق لزيدٍ، وهذا هو الخبر الابتدائي، في حين أننا إذا قلنا : زيدٌ المنطلقُ، كان المقصود، حصر الانطلاق في زيد دون غيره [٣٣]. وعلى هذا يمكن القول : إنّ قوله تعالى : ﴿ما جئتم به السحرُ﴾ أراد به موسى عليه السلام أنْ يحصر السحرَ بهم، وليس با ، على حين أنّ قراءة عبد الله ما جئتم به سحر) لا دلالة فيه للحصر بل إثبات السحر لهـ . وهذا هو الخبر الابتدائي . ويبدو لي أنّ تعريف السحر) يتناسب مع حال المخاطب الذي يتساءل : أهذا سحرٌ، فجاء الجواب بحصر السحر عندهم وليس عند .

٢ . جواز الابتداء بالنكرة :

ر عى النحويون المخاطب وكيفية فهمه للخبر الملقى إليه في اشتراطهم ألّا يبدأ بنكرة، إذ اشترطوا أنْ يكون المبتدأ معرفة ، ولا يجوز أنْ يأتي نكرة إلّا إذا أفاد [٣٤].

قال سيبويه : لا يستقيم أن تُخبر المخاطب عن المنكور . ليس هذا بالذي ينزل به المخاطب منزلتك في المرِ رفة، فكرهوا أنْ يقربوا باب لبس [٣٥]. أي كرهوا أنْ يبدأوا بما فيه اللّبس لئلا يقع عدم فهم المخاطب لما يُلقى عليه من الكلام لذلك قرر سيبويه أنّ المعروف)

(٣١) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٤٧٥/١، وإعراب القرآن، النحّاس ٢٦٣/٢-٢٦٤.
(٣٢) دلائل الإعجاز ١٣٦.
(٣٣) ينظر : التراكيب النحوية من الوجه البلاغية عند عبد القاهر ١٠٠، والتداولية عند العلماء العرب ١٩٢.
(٣٤) ينظر : مراعاة المخاطب في النحو العربي ١٨٧.
(٣٥) الكتاب ٤٨/١.

أي : المعيّن هو المبدوء به، وعليه فإنّه لم تحصل إفادة لدى المخاطب لم يجز الابتداء بالنكرة . أما إذا تحققت الإفادة بالنكرة فيجوز الإخبار عنها والإسناد إليها [٣٦].

وهذا ما أكده ابن السراج بقوله : إنّما امتنع الابتداء بالنكرة المحضة لأنّه لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلم به، ألا ترى أنك لو قلت رجلٌ قائمٌ، أو رجلٌ عالم، لم يكن في هذا الكلام فائدة لأ ه لا يستنكر أن يكون في الناس رجل قائماً أو عالماً [٣٧].

وكان النحّاس قد أشار إلى جواز الابتداء بالنكرة إذا أفادت جاء ذلك عند كلامه على قوله تعالى : ﴿وَ لامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ مر ١٥ . فقوله : سلامٌ) رُفع با بتداء، وحسن الابتداء بالنكرة؛ لأنّ فيها معنى الدعاء [٣٨].

وهذا ما ذهب إليه السهيلي أيضاً إذ ذكر أنّ ما دخله معنى الدعاء ابتدأ به وهو نكرة فلا يكون إلّا في معنى الأحدث والمصادر، وما ارتفع منه، نحو سلام عليكم، وويلٌ له، فإنّما يرتفع، لأنّك تريد أن تشوب الدعاء بالخبر كأنك تريد سلامٌ مني عليكم، فصار السلام في حكم المنعوت بقولك : منّي . فقوي الرفع فيه على الابتداء؛ لأن النكرة المنعوتة يبتدأ بها [٣٩].

أمّا الزجّاج فقد بيّن أنّ سبب الابتداء بالنكرة؛ لأنه اسم يكثُر استعماله، تقول سلامٌ عليكَ، والسلامُ عليك . وأسماء ا جناس يبتدأ بها؛ لأنّ فائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها [٤٠].

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمز ١ .

فذكر النحّاس أنّ قوله : ويلٌ) مرفوع بالابتداء، ويجوز فيه النصب، لأنّه بمعنى المصدر . كما جاز نصب : قُبوحاً له، غير أنّه استحسن الرفع في ويلٌ) لأنه غير مأخوذ من فعل، كما أنّ نصب في قبوح) أجود؛ لأنّه مأخوذ من فِعل [٤١]. ثم أشار إلى أنّ في نصب ويلٌ) وجهاً آخر، تقديره : قولوا الزم الله ويلاً لكل همز . وهذا ما ذهب إليه سيبويه [٤٢]. وإنّما جاز الابتداء بـ ويلٌ) وهي نكرة، لأنّ النكرة ذا قربُت من المعرفة صلُح الابتداء

(٣٦) ينظر : الكتاب ٤٨/١، والتداولية عند العلماء العرب ١٨٩.
(٣٧) الأصول في النحو ٥٩/١.
(٣٨) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ١٠/٣.
(٣٩) ينظر : نتائج الفكر في النحو ٣١٧-٣١٨.
(٤٠) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٦٩/٣.
(٤١) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢٨٧/٥.
(٤٢) ينظر : الكتاب ٣٩٦/٥، وإعراب القرآن، النحّاس ٢٨٧/١.

بهـ [٤٣]، وقربها من المعرفة لما دخلها من معنى الدعاء [٤٤]. ولا بد من الإشارة إلى أنّ معنى الرفع والنصب واحدٌ وهو الدعاء، إلّا أنّ ويل) بالرفع أجود في العربية لأنّه قد ثبت له الويل [٤٥]. قال المبرّ : وأمّا الرفع فعلى قولك بت ويلٌ لـ) [٤٦].

وقد ذكر النحّاس قول مجاهد في هذه الآية أنّها ليست خاصة لأحد، وهذا قول صحيح في العربية كما يراه النحّاس، لأنّ سبيل كل) أنْ تكون غير خاصة علماً أنّ هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق [٤٧]. لكن هذا لا يمنع من أنْ يكون الكلام موجهاً إلى عامة النـ س، قال الفرّاء وهذا جائز في العربية أنْ تذكر الشيء العام وأنت تقصد قصد واحد من هذ) [٤٨].

وكذلك ذهب الزمخشري إلى أنّه يجوز أنْ يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً [٤٩] وهذا مسوغ آخر لمجيء المبتدأ نكرة وهو دلالته على العموم [٥٠].

٣ . دلالة (كان) التامة :

قد تأتي كان) مكتفية بما يليها من اسم مرفوع لإفادة معنى مستقلاً [٥١] فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ البقر ٢٨٠. ذكر النحّاس أن كان) هنا بمعنى وقع محتجاً بما أنشده سيبويه :

فِدىً لِبَنِي ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ ناقتِي إذا كانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكَبَ أشْهَب [٥٢]

و كان) هنا بمعنى : وقع . فقوله إذا كان يوم ، أي : إذا وقع يوم ذو كواكبُ أشهبُ . ولولا ذلك لقال : أشهبَ ، بالنصب .

ويرى النحّاس أنّ أحسن ما قيل في : ﴿وإنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ أنّ كان تامة ويكون الخطاب عاماً لجميع الناس، وجوّز أنْ يكون خبر كان محذوفاً، والتقدير : وإنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ

(٤٣) ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٩٢.
(٤٤) ينظر : نتائج الفكر في النحو ٣١٧.
(٤٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٥.
(٤٦) المقتضب ٢٢٠/٣.
(٤٧) ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن ١٩٢.
(٤٨) معاني القرآن ٢٨٩/٣.
(٤٩) ينظر : الكشاف ٨٠٢/٤.
(٥٠) ينظر : شرح أبيات سيبويه،ابن السيرافي ١٢٠/١.
(٥١) ينظر : الزمن في النحو العربي ٧٨.
(٥٢) البيت لمقّاس العائذِي . ينظر: الكتاب ٢١/١ ، وشرح أبيات سيبويه، النحّاس ٤٥، وشرح أبيات سيبويه ، ابن السيرافي ١٧١/١، والنكت في تفسير كتاب سيبويه ١٨٣/١.

في الدِيّن، مستشهداً بقول الحجاج الورّاق في مصحف عبد الله بقوله : وإنْ كان ذا عُسْرةٍ، والتقدير : إنْ كان المعاملُ ذا عُسْرة[٥٣].

ولم يذكر النحّاس دلالة الخطاب في وجه النصب، وأشار إليها بعض علماء العربية إذْ يرون أنّ كان) إذا كانت ناقصة وخبرها ذ) كان الخطاب مخصوصاً بقوم في أعيانهم[٥٤].

ويرى العكبري أنّ المخاطب لو كان مخصوصاً بعينه ونُصِبَ ذا عُسْرَ) لكان في السياق ذكر سابق له يدل عليه، وليس ذلك في اللفظ إلّا أنْ يتحمل في تقديره[٥٥].

٤. حذف المفعول:

قد يعمد المتكلم إلى حذف المفعول به، والمسوغ لذلك الحذف هو علم السامع بما حُذِف، قال ابن هشام : والتحقيق أنْ يقال : إنّه تارة يتعلق الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين مَنْ أوقعه أو مَنْ أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام، فيقال : حَصَلَ حريقٌ أو نُهِبَ، وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما، ولا يُذكر المفعول ولا ينوى، إذْ المنوي كالثابت، ولا يُسمى محذوفاً؛ لأنّ الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول لـ)[٥٦].

وكان النحّاس قد تنبّه إلى هذا الأمر عند تح ليله لقوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ اللبـ ١ . فذهب إلى أنّ مفعول يَغْشَ) محذوف، كما يقال : ضَرَب زيدٌ، ولا يجيء بالمضروب، إمّا لمعرفة السامع وإمّا للإبهام عليه . ويكون المعنى : والليل إذا يَغْشَى كلَّ شيءٍ بظلمته، فيصير له كالغشاء وليس كذا النهار[٥٧].

والمعنى عند الزجّاج : إذا يَغْشَى الليلُ الأرضَ توارى الأفق وجميع ما بين السّماء والأرض[٥٨].

ويبدو أنّ المخاطب على علم ودراية بما يفعله اللّيل في غشيته، غير أنّ الأهم من معرفة ذلك هو التنبيه والالتفات إلى الغشية والتجلي أنفسهم . وهذا ما بينته الدكتورة ِ ائشة عبد الرحمن بقولها : ونرى أنّ القرآن في إمساكه عن ذكر متعلق ليغشى أو تجلى، يصرفنا

(٥٣) ينظر : إعراب القرآن ٣٤٢/١، والكشاف ٣٥٠/١.
(٥٤) ينظر : المشكل في إعراب القرآن ١١٧/١، والتبيان في إعراب القرآن ١٩٤/١.
(٥٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١٩٤/١.
(٥٦) مغني اللبيب ٧٩٧/٢-٧٩٨.
(٥٧) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢٤١/٥.
(٥٨) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٦/٥.

عن تأويل محذوفٍ أو مُقدّر، لنلتفت إلى أنّ الغشية والتجلي، من اللّيل والنهار، هما المقصودان بالتنبيه والالتفات، بما أغنى عن ذكر مفعول أو متعلق [٥٩].

ومثل ذلك أيضاً قوله عالى : ﴿كَلاَّ بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ الفج ٧ ١٨ . فحذف مفعول تَحضُّونَ) لعلم السامع، والمعنى : ولا تَحضُّونَ الناس [٦٠]. أو أنفسهم على طعام المسكين [٦١]. ومَنْ قرأ تَحاضّون) [٦٢] قدّره بمعنى : تتحاضُّون [٦٣]، ولم يقدر حذف مفعول لأنّه لا يتعدى [٦٤]. وقرأ بعضهم تُحاضُّون) بمعنى : تُحافظون [٦٥]. فقد صرف التعبير القرآني اهتمام المخاطب إلى الفعل نفسه، أي : حضُّ الناس بعضهم بعضاً . وليس إلى المفعول .

وكذلك قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ الغاشية ٢١ . فحُذِف مفعول فذكر) لعلم السامع، والتقدير : فذكّر عبادي حججي وآياتي [٦٦].

وأغلب الظن عندي أنّ التعبير القرآني جعل الفعل مطلقاً ولم يقيده بمفعول للدلالة على العموم والإطلاق، فلم يذكر العباد لأنّ المخاطب يعلم أنّ المقصود بالتذكير هم العباد، ولم يذكر الحجج والآيات لكي لا ينحصر التذكير عليها بل يعمّ كل ما هو خير للعباد فتندرج تحتها الحجج والآيات .

٥. رفع ونصب الفعل المضارع بعد (حتّى) :

تناول النحّاس هذه المسألة وبَحَثها في ضوء سياق الحال والموقف الذي يجري فيه نطق الجملة، وقد فسّر معنى قولهم : سرتُ حتّى أدخلها . بأنه يجوز أنّ يكون لهذا الفعل وجهان إعرابيان، هما : الرفع والنصب . فجعل لكل وجه معنى يؤديه، ويكون ذلك متوقفاً على قصد المتكلم، لأنّه هو الذي يحدد الوجه الإعرابي الجائز ومن ثمَّ تُفسر الجملة في ضوء ذلك للوصول إلى المعنى المراد . ولكلٍ من هذين الوجهين يجعل سيبويه نفسه يرين له، مراعياً قصد

(٥٩) التفسير البياني للقرآن الكريم ١٠٠.
(٦٠) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢٢٣/٥.
(٦١) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٤٧٤/٢.
(٦٢) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٥٤٤/٣.
(٦٣) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢٢٣/٥.
(٦٤) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٤٧٤/٢.
(٦٥) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٢٦١/٢، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن ٩٠.
(٦٦) ينظر ك إعراب القرآن ، النحّاس ٢١٤/٥.

المتكلم [٦٧]، فالنصب بعد حتى) على وجهين : أحدهم : أنّ الدخول غاية لمسيرك، وذلك قولك : سِرْتُ حتّى أدخلَها، كأنّك قلت : سرتُ إلى أنْ أدخلَها ... أمّا الوجه الآخر فإنْ يكون السَّير قد كان والدخولُ لم يكن، وذلك إذا جاءت مثلَ كي التي فيها ضمار أنْ وفي معناها) [٦٨]. أي : أنّ معنى النصب بعد حتّى أنّه إذا قصد المتكلم أن يجعل الدخول غاية لمسيره وأنّه لم يقع، أو أنّه يقصد أن يجعل الدخول سبباً للسير مثل كي [٦٩]، أما الرفع بعدها فعلى وجهين أيضاً أحدهم : سِرتُ حتَّى أدخُلها، تعني أنّه كان دخولٌ متصلٌ بالسير كاتِّصاله به بالفاء إذا قلت : سرتُ فأدخلُها، فأدخلُها ههنا على قولك : هو يَدخلُ وهو يَضربُ، إذا كنتَ تُخْبر أنّه في عمله، وأنَّ عمله لم ينقطِ ... أما الوجه الآخر فإنّه يكون السَّيرُ قد كان وما أشبهه ، ويكون الدخولُ وما أشبهه الآن) [٧٠].

وقد ذكر الـ حّاس أنّ الوجه الأول قراءة الرفع أبين وأصح معنى إذا ما فُسِر بها قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَ اء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ ألا إنَّ نَصْرَ اللّهِ قريبٌ﴾ البقر ٢١٤ . والمعنى : وزلزلوا حتى الرسول يقول : حتى هذه حاله، لأنّ القول إنّما كان غير منقطع منها، أي أنّه يخبر عن الحال التي كان فيها الرسول فيما مضى) [٧١]. والنصب على الغا ة ليس فيه هذا المعنى [٧٢]. والوجه الآخر في الرفع غير الآية، سرتُ حتى أدخلها على أنْ يكون السير قد مضى والدخول الآن [٧٣].

وكان النحّاس قد رفض حجتي أبي عبيد في نصب يقول) الأولى عن أبي عمرو أن زلزلو) فعل ماضٍ ، و يقول) فعل مستقبل فلما اختلفا كان الوجه النصب ، والثانية : ما حكاه عن الكسائي وهي : إذا تطاول الفعل الماضي صار بمنزلة المستقبل . ورفض النحّاس للحجة الأولى متأتٍ من انعدام علة الرفع والنصب، لأنّ حتّى) ليست من حروف العطف في الأفعال، وهي من عوامل الأفعال . أمّا حجة الكسائي فليست بحجة أيضاً؛ لأنّه لم يذكر لعلة في النصب ولو كان الفعل الأول مستقبلاً لكان السؤال بحاله [٧٤].

(٦٧) ينظر : سياق الحال في كتاب سيبويه ٢١٨.
(٦٨) الكتاب ١٧/٣.
(٦٩) ينظر : سياق الحال في كتاب سيبويه ٢١٨.
(٧٠) الكتاب ١٧/٣-١٨.
(٧١) البيان في غريب إعراب القرآن ١٥٠/١.
(٧٢) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٣٠٤/١، والسبعة في القراءات ١٨١، علماً أنّ قراءة الرفع قرأ بها نافع.
(٧٣) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣٠٤/١.
(٧٤) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٣٠٤/١-٣٠٥.

ووجّه الزجّاج قراءة النصب وفقاً لمذهب سيبويه، وهو على وجهين : الأول : أنْ يكون الدخول غاية السير، والسير والدخول قد مضيا جميعاً . فالمعنى : سرتُ إلى دخولها، وقد مضى الدخول، ومعنى الآية على هذا لوجـ : وزلزلوا إلى أنْ يقولَ الرسولُ، وكأنّه حتىّ قول الرسول [٧٥] . أي : أنّ قول الرسول غاية لخوف أصحابـ [٧٦] .

والوجه الثاني : سرتُ حتّى أدخلها، أنْ يكون السير وقع والدخول لم يقع، ويكون المعنى : سرتُ كي أدخلها، وليس هذا وجه نصب الآية كما يرى الزجّاج [٧٧] .

نخلص من هذا إلى أنّ رفع المضارع ونصبه بعد حتَّى) تابع إلى قصد المتكلم، فإنْ قصد الحكم بحصول مصدر الفعل الذي بعد حتَّى) إمّا في حال الإخبار، أو في الزمن المتقدم عليه على سبيل حكاية الحال الماضية وجب رفع المضارعِ ... وإنْ قصد المتكلم أنّ مضمون ما بعد حتى، سيحصل بعد زمان الإخبار وجب النصب، وكذا يجب النصب إنْ لم يقصد، لا حصوله في أحد الأزمنة ولا عدم حصوله فيها بل قصد كونه مترقباً مستقبلاً وقت الشروع في مضمون الفعل المتقدم، سواء حصل في أحد الأزمنة الثلاثة أو عرض مانع من حصولـ [٧٨] .

٦ . حذف جواب لولا :

تأتي لولا) لمعانٍ عدة منه : أنْ تكون للإخبار بمعنى : امتناع شيء لأجل شيء أو وقوع شيء لأجل شيء . كقولك : لولا زيدٌ لجئتك . أي : امتناعي عن المجيء إليك من أجل زيد . وخبر زيد) محذوف لعلم السامع بـ . وتقدير : متعلق بما يعرفه المخاطب . مثل : لولا زيد حاضر أو عندك أو أهابه أو ألرمُه أو ما أشبه ذلك . و لجئتك) جواب لولا) ولابد لـ لولا) من جواب في هذا المعنى [٧٩] .

غير أنّ جواب لولا قد يحذف، ويكون تقديره بما يعلمه السامع كذلك، نحو قوله تعالى : وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَّأى بُرْهَانَ رَبِّهِ يوسف ٢٤ . فذكر النحّاس أنّ جواب لولا)

(٧٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/١.
(٧٦) البيان في غريب إعراب القرآن ١٥٠/١.
(٧٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/١.
(٧٨) شرح الرضي على الكافية ٥٧/٤-٥٩.
(٧٩) ينظر : الأزهية في علم الحروف ١٧٥.

محذوف لعلم السامع به [٨٠]. والتقدير : لولا أن رأى برهان ربّه في ذلك الوقت لكان منه كذا وكذا، فالخبر والجواب محذوفان [٨١]. ولا يجوز أنْ يكون وَهَمَّ بها) جواب لولا؛ لأنّ جواب لولا لا يتقدم عليا) [٨٢]. ولأنّه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام، وهو مع ما في خبره من الجملتين كلمة واحدة ولا يجوز تقدم بعض الكلمة على بعض . فعلى هذا يكون قوله : هَمَّ بها) دليلاً على الجواب .

ويبدو لي أنّ حذف الجواب في هذا الموضع لسببين : الأول وهو ما ذكره النحّاس والثاني : استغناء التعبير القرآني عن ذكره . وذلك لصرف ذهن المخاطب لما هو أهم منه وهو برهان ربه المانع من حدوث المعصية .

٧ . وصف النكرة :

يعمد المتكلم إلى وصف النكرة لإزالة اللّبس والإبهام عن ذهن المخاطب وكي يكون المخاطب على علم ودراية بقصد المتكلم حتى تتحقق الفائدة . قال ابن السراج : وأصل الصفة أنْ قع للنكرة دون المعرفة لأنّ المعرفة حقها أنْ تستغني بنفسها، وإنّما عرض لها ضربٌ من التنكير فأصبح إلى الصفة، فأما النكرات فهي المستحقة للصفات لتقرب من المعارف وتقع بها حينئذٍ الفائد) [٨٣].

والإفادة يراد بها حصول الفائدة لدى المخاطب من الخطاب ووصول مضمونه إل ه على الوجه الذي يغلب على الظن أنْ يكون هو مراد المتكلم وقصده [٨٤]. وهذا ما بيّنه النحّاس من قوله تعالى : ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ البقر ١٩٦ . فذكر أن مجيء لفظة كامل) أزاله توهم السامع، فلو لم يقل : تلك عشرة كاملة، جاز أنْ يتوهم السامع أنه إنّما عليه أن يصوم ثلاثة في الحج أو سبعة إذا رجع؛ لأنّه لم يقل : وسبعة أخرى [٨٥]. وذكر الراغب أنَّ وصف العشرة بالكاملة ليس الغرض منه إعلام المخاطب أنّ السبعة والثلاثة عشرة بل ليبين أنّ بحصول صيام العشرة، يحصل كمال الصوم القائم مقام

(٨٠) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٣٢٣/٢.
(٨١) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٤٢٧/١.
(٨٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٣٨/٢.
(٨٣) الأصول في النحو ٢٢/٢.
(٨٤) ينظر : التداولية عند العلماء العرب ١٨٦.
(٨٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣١/١، ومعاني القرآن، النحّاس ٤٩/١.

الهدى [٨٦]. وقريب من هذا ما ذكره الزمخشري فهو يرى أنّ كاملة توكيد وزيادة توصية بصيامها وألّا يتهاون بها وألّا ينقص من عددها [٨٧].

٨. دلالة حذف حرف النداء:

اختصت (يا) من بين حروف النداء بجواز حذفها، فلا يقدر عند الحذف سواها؛ لأنّها أكثر أحرف النداء استعمالا [٨٨]. وإنّما تحذف حينما يتمكن المتكلم من تحقيق غاية إصغاء المخاطب إليه وانتباهه، إذ يستغني عنها لوجود القرائن الدالة على معناها، ومن تلك القرائن الاسم العلم الذي أغني عن ذكر الأداة، وقرينة حالية أخرى وهي وجود المنادى في حضرة المتكلم قريباً منه [٨٩]، والمخاطب متنبه لما يقوله المتكلم، نحو قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا﴾ يوسف ٢٩. فقد اكتفى النحّاس بذكر سبب واحد لحذف حرف النداء وهو علم السامع [٩٠].

والحق أنّ هناك قرائن أخرى تسوغ هذا الحذف منها ما يرتبط بالمخاطب إذ يستند إلى مقدار ما يمتلكه المخاطب من فطنة وذكاء تهيئان له سبل التنبيه والإصغاء، فلا حاجة لذكر أداة النداء [٩١]، وهذا ما ذكره الزمخشري في قوله: حُذِف منه حرف النداء لأنّه منادى قريب مفاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحل [٩٢].

وثمة دلالة أخرى وهي أنّ الحذف جاء اختصاراً للموقف وبقاء للمعنى [٩٣] إذ أرادوا ستر المسألة والكف عن الخوض فيها فقالوا ذلك بأخصر طريق حتى أنّهم لم يذكروا حرف النداء فحذف حرف النداء تمشياً مع هذا الاختصار والتستر [٩٤]. أي: كأنّ حذف الحرف يتناسب مع الغرض وهو التستر ونسيان الحادث. وحذفها من الحديث مع النّاسر.

ج. أثر الظروف والأحوال المحيطة بالنص في التحليل النحوي:

(٨٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٤٤٣.
(٨٧) ينظر: الكشاف ٢٦٩/١.
(٨٨) ينظر: مغني اللّبيب ٤٨٨/١.
(٨٩) ينظر: مراعاة المخاطب في النحو العربي ٢٤٢، والدلالة والتعقيد النحوي ٤١٥-٤١٦.
(٩٠) ينظر: شرح القصائد التسع المشهورات ٥٦٤/٢.
(٩١) ينظر: مراعاة المخاطب في النحوالعربي ٢٤٢، والدلالة والتعقيد النحوي ٤١٦.
(٩٢) الكشاف ٤٣٥/٢.
(٩٣) ينظر: المتبع في شرح اللمع ٤٨٣.
(٩٤) معاني النحو ٢٧٨/٤.

التفت علماء العربية إلى أثر الظروف والأحوال الملابسة للقول مشترطين موافقة الكلام لمقتضى الحال) لما له من تأثير في تشكيل الكلام وتأليفه على أنماط مختلفة تتنوع بتنوع مقامات [١٥] . قال سيبويه : وذلك أنّ رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أنْ يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال : أنا عبدُ الله منطلقاً، وهو زيدٌ منطلقاً، كان محالاً؛ لأنّه إنّما أراد أنْ يخبرك بالانطلاق ولم يقل : هو، ولا أنا، حتى استغنيت أنت عن التسمية؛ لأنّ هو و أنا علامتان للمضمر وإنّما يُضمر إذا عَلِمَ إنّك قد عرفتَ مَنْ يعني إلّا أنّ رجلاً لو كان خلف حائط أو في موضع تجهله فيه فقلت : مَنْ أنتَ فقال : أنا عبد الله منطلقاً في حاجتك، كان حسناً [١٦] . فالملاحظ على تحليل سيبويه للتراكيب، أنا عبدُ الله منطلقاً، وهو زيدٌ منطلقاً، الحكم بالإحالة على الرغم من صحتها نحوياً، وذلك استناداً إلى ما أراده المتكلم مَنْ معنى، لأنّه أراد الإخبار عن نفسه أو غيره بالانطلاق فكان حقه أن يقول : أنا منطلق وهو منطلق؛ ولأنك لا تضمر فتقول : أنا أو هو حتى تكون معروف . فتستغني عن قولك : عبد الله أو زيد . في حين حكم على التركيب نفسه بالحسن استناداً إلى الملابسات المحيطة والمصاحبة للتركيب، لأنّ المتكلم، ينادي رجلاً خلف حائطٍ فهو يجهله أو يجهل مكانه . فمن ثم أفاد قوله : أنا عبدُ الله ، ثم بيّن حاله [١٧] .

١ . عدم جواز العطف على الضمير المجرور من غير عادة حرف الجر :

خطّأ النحّاس قول مَنْ قال : إنّ الأرحا) قسم وذلك في قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ النسا ١ . وهي قراءة حمزة، أي خفض الأرحا [١٨] . والمعنى : بالله والرحم أي : القسم بالرحم . وذهب إلى أنّ هذا فيه قبح، لأنّ العرب لا تردّ مخفوضاً على مخفوض وقد كنى عنا [١٩] .

وأمّا النحّاس فالخطأ عنده متأتٍ من جهة المعنى والإعراب : معتمداً في ذلك على المقام، أي : سبب نزول الآية الكريمة، فالحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يدلّ على النصب، روى شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن النذر بن جرير عن أبيه، قال : كنت عند النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – حتى جاء قوم من مصر حفاة عراة، فرأيتُ وجه النبي –

(٩٥) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ٨٧.
(٩٦) الكتاب ٢/٨٠-٨١.
(٩٧) ينظر : الدلالة والتقعيد النحوي ٤١٢.
(٩٨) ينظر : السبعة في القراءات ٢٢٦.
(٩٩) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ١/٢٥٢، ومعاني القرآن، الأخفش ١/٢٤٣.

صلى الله عليه وآله وسلم – يتغير لما رأى من فاقتهم ثم صلّى الظهر، وخطب الناس، فقال : يا أيّها الناس اتّقُوا ربَّكُم والأرحامَ، فمعنى هذا على النصب لأنّه حضّهم على صلة أرحامهم، وأيضاً لو كان قسماً، كان قد حُذِف منه؛ لأنّ المعنى : ويقولون بالأرْحام، أي : ورَبّ الأرْحام ولا يجوز الحذف إلّا أنْ لا يصح الكلام إلّا عليه . واستند كذلك إلى ما صحّ عن الرسول محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – مَنْ كان حالفاً فليحلفْ بالله [١٠٠] . كما لا يجوز أنْ تحلف إلّا بالله كذا لا يجوز أنْ تستحلف إلّا بالله، فهذا يردّ قول مَنْ قال : المعنى أسالك بالله وبالرحـ .

وكذلك ذكر النحّاس المعنى عند الزجّاج وهو : تطلبونَ حقوقكُم به، ولا معنى للخفض على هذا [١٠١] . وعند العودة إلى رأي الزجّاج تبيّن أنّ المعنى : واتقوا الأرحامَ أنْ تقطعوها . على قراءة النصب . وهي جيدة عند .

أمّا قراءة الجر فقد خطّأها الزجّاج كذلك، لأنّه يرى إجماع النحويين أنّه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على الضمير المجرور من دون إعادة المجرور [١٠٢] .

بناءً على ما تقدم يتبين لنا أن النحّاس قد اعتمد على سبب نزول الآية الكريمة وكذلك على السنة النبوية الشريفة في استبعاد معنى القسم من الآية . وما استند عليه هي الظروف الخارجية المحيطة بالنص أي سياق الحال .

٢. (ما) **بين الشرطية والموصولة** :

ذهب النحّاس إلى أنّ مـ) في قو ه تعالى : ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ النسـ ٧٩ . بمعنى : الذي، على قول الأخفش [١٠٣] . وهي الصواب عنده، وقيل : شرط وإنّما صوّب رأي الأخفش لأنّه نزل في شيء بعينه من الجدب، وليس هذا من المعاصي في شيء ولو كان منهما، لكان : وما أصبت من سيئةٍ [١٠٤]، فضلاً عن ذلك أنّ الشرط لا يكون مبهماً، وإنّما دخلت الفاء للإبهام الذي في الذي ، مع أن صلته فعل فدلّ ذلك على أنّ الآية ليست في المعاصي والطاعات كما قال أهل الزيغ [١٠٥] .

(١٠٠) ينظر : صحيح الترمذي : النذور ١٦/٧-١٧ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٤٣١/١-٤٣٢.
(١٠١) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٤٣٢/١.
(١٠٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/٢-٦.
(١٠٣) ينظر : معاني القرآن، الأخفش ٢٦٢/١.
(١٠٤) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٤٧٤/١.
(١٠٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن ١٩٩/١، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٦١/١..

نخلص من هذا إلى أنّ النحّاس اعتمد على تضافر سياق الحال مع الصناعة النحوية في ترجيحه لأحد القولين .

٣. **العطف**:

قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ﴾ البقرة ٢١٧ . يرى النحّاس أن (المَسْجِدِ الحَرَامِ) عطف على (سَبِيلِ اللهِ) . ثم أورد رأياً آخر يذكر فيه : أن (المَسْجِدِ الحَرَامِ) عطف على (الشَّهْرِ) أي : ويسألونك عن المسجد ، فقال تعالى : وإخراج أهله أكبر عند الله) وهذا رأي الفرّاء [١٠٦] . غير أنّه لا وجه له عند النحّاس مستنداً في ذلك إلى معنى الآية وسبب نزولها . أما المعنى : فلأن القوم لم يكونوا في شكٍ من عظيم ما أتى المشركون إلى المسلمين في إخراجهم من منازلهم بمكة . فيحتاجوا إلى المسألة عنهم، هل كان ذلك لهم . وأمّا سبب النزول فإن العلماء قد جمعوا أنها نزلت في سبب قتل ابن الحضرمي [١٠٧] .

الخاتمة:

بعد دراسة أثر عناصر العملية الكلامية في التحليل النحوي عند النحّاس تبين لنا ما يأتي :

- قد تحتمل الكلمة الواحدة في الجملة أكثر من وجه إعرابي فتختلف وظائفها في الجملة تبعاً لاختلاف الأوجه الإعرابية، وفي ذلك نجد النحّاس يبيّن معنى كل وجه معتمداً على قصد المتكلم وإرادته .
- تنبّه النحّاس إلى طريقة الأداء اللغوي المصاحبه للتركيب التي كان لها أثر كبير في بيان دلالة الألفاظ .

(١٠٦) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ١٤١/١، ومشكل إعراب القرآن ٩٥/١.
(١٠٧) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣٠٨/١، ومشكل إعراب القرآن ٩٥/١

- أدرك النحّاس أنّ المتكلم قد يعمد إلى استعمال الأساليب المجازية بغية التأثير في المخاطب واستمالته .
- قد تحذف بعض عناصر الكلام اعتماداً على علم السامع ودرايته،وما يمتلكه من فطنة وذكاء تهيئان له سبل التنبيه والإدراك .
- لم يغفل النحاس الظروف المصاحبة في النص وأثرها في التحليل النحوي،ومن أهمها سبب نزول الآيات القرآنية وما جاء في السنة النبوية الشريفة في تفسير كلام الله ﷻ .

المصادر والمراجع:

- الأزهية في علم الحروف : علي بن محمد النحوي الهرويّ (٤١٥ هـ) ، تحقيق : عبد المعين الملّوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- الأصول في النحو : لأبي بكر بن سهل بن السراج (٣١٦ هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ١٩٨٨ م .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالوية (٣٧٠ هـ) دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، مطبعة منير، بغداد .
- إعراب القرآن : لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس (٣٨ هـ) ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢ ٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- البلاغة والاتصال : د. جميل عبد المجيد، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م
- البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري (٥٧٧ هـ) ، تحقيق : د. طه عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢ ٢٠٠٦م .
- البيان والبيين : لأبي عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق : حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (٣٤٥ هـ - ١٩٢٦
- تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث ، القاهرة ٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م
- التبيان في إعراب القرآن : عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦ هـ ، شركة القدس للتصدير والاستيراد ، القاهر .

• التبيان في إعراب القرآن : عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، ١٦ هـ ، شركة القدس للتصدير والاستيراد ، القاهر .

• تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب : الأعل م الشنتمري ، ٧٦ هـ) ، حققه وعلّق عليه، د . زهير عبد المحسن سلطان، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة خزانة الأدب، بغداد، ، ٩٩٢ .

• التداولية عند العلماء العرب : . مسعود صحراوي، دار الطليعة ، بيروت، ، ٠٠٥ م

• التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القا هر : . عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض .

• التفسير البياني للقرآن الكريم، د . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، مكتبة الدراسات الأدبية ٥ ، القاهرة، .

• دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تعليق وتصحيح الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية ، بيروت، ، ٤٠٩ هـ - ٩٨٨ م

• الدلالة والتقعيد النحوي دراسة في فكر سيبويه) : . محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة ، ٠٠٨ م الدلالة والتقعيد النحوي دراسة في فكر سيبويه) : . محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة ٠٠٨ م

• الزمن في النحو العربي : . كمال إبراهيم بدري، دار أميّة للنشر والتوزيع، الرياض، ، ٤٠٤ هـ .

• السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، ٢٤ هـ ، تحقيق د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة، .

• سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة ، . أسعد خلف العوادي، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمّان ٤٣٢ هـ - ٠١١ م

• شرح أبيات سيبويه : أبو محمد يوسف بن أبي سعيد المرزباني السيرافي ، تحقيق د . محمد علي الريح هاشم، منشورات مكتبة الكليات ، الأزهر، دار الفكر ، القاهرة ٩٧٤ م

• شرح أبيات سيبويه : لأبي جعفر النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة الغرّي الحديثة، النجف، ، ٩٧٤ .

• شرح الرضي على الكافية : محمد بن الحسن الرضي الاسترآبادي (٨٨ هـ) : تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، (٣٨٤ هـ .

• فصول في علم الدلالة : ا. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، د (٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ .

• الكتاب : سيبويه (١٨٠ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار القلم ، بيروت، ٩٦٦ .

• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د) .

• المتّبع في شرح اللّمع : أبو البقاء العبكري (٦١٦ هـ) ، تحقيق ا. عبد الحميد حمد محمد الزوي ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، (٩٩٤ .

• مراعاة المخاطب في النحو العربي : ا. بان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (، ٢٠٠٨ .

• مشكل إعراب القرآن : مكي بن أبي طالب القيسي (٣٧ هـ) ، تحقيق ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ٣٩٢ هـ - ٩٧٤ م

• معاني القراءات : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٧٠ هـ) ، حققه وعلق عليه الشيخ : أحمد فريد المزيدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٢٠ هـ - ٩٩٩ .

• معاني القرآن : أبو بكر يحيى بن زياد الفرّاء (٢٠٨ هـ) ، حقق الجزء الأول والثاني : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٩٥٥ . وحقق الجزء الثالث : ا. عبد الفتاح شلبي، وراجعا : ا. علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٧٢ .

• معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق إبراهيم السري الزجاج (٣١١ هـ ، تحقيق د . عبد الجليل عبدة شلبي، خرج أحاديثه علي جمال الدين، دار الحديث ، القاهرة، ٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ .

• معاني النحو : ا. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ، عمان، (٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

• مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين بن هشام الأنص اري ، ٦١ هـ) : تحقيق ، . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ت ٣٧٨ هـ .

• المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، ٠٢ هـ) : راجعه وقدم له وائل احمد عبد الرحمن ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، ، ت) .

• المقتضب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ، ٨٥ هـ) تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب السادس .

• نتائج الفكر في النحو : أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي ، ٨١ هـ): حققه وعلّق عليه عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت، د ، ٤١٢ هـ - ٩٩٢ ، .

• نظرية النحو العربي في ضو ء مناهج النظري اللغوي الحديث : . نهاد موسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١ ٤٠٠ هـ - ٩٨٠ ، .

• النكت في تفسير كتاب سيبويه : الأعلم الشنتمري ، ٧٦ هـ) ، تحقيق : . زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية وال ثقافة والعلوم، الكويت، .

الأبحـــاث :

• منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين : . أحمد نصيف الجنابي، المعجمية العربية، أبحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي ٤١٢ هـ - ٩٩٢ ، .